الفصل الأول

الضوابط العامة للحوار

للحوار ضوابط عامة هي أساس معول نجاح أي حوار، ويتم تناولها من خلال بيان مقوماته، واستجلاء شروطه، وتوضيح آدابه، وتحديد عوائقه، وذلك في مباحث أربعة على النحو التالي:

- **المبحث الأول: المقومات الأساسية للحوار**
- **المبحث الثاني: شروط الحوار**
- **المبحث الثالث: آداب الحوار**
- **المبحث الرابع: عوائق الحوار**

obeikandl.com

المبحث الأول: المقومات الأساسية للحوار

لكل شيء مقومات أساسية، ودون وجود هذه المقومات، يصبح الحديث عن ذلك الشيء لغواً لا طائل من ورائه، وهباءً لا فائدة من بحثه. ولا يخرج الحوار عن هذا الإطار، إذ لا بد من توافر مقومات أساسية للحوار.

هذه المقومات ـ إن توافرت ـ أثمرت شجرة الحوار وآتت أكلها مغدقة نافعة. وعلى العكس، إن انتفت هذه المقومات، واختفت تلك الدعامات، أصبح الأمر ليس إلا عبثًا وسُدًى وهملاً لا نجني من ورائه إلا السراب. ومن تلك المقومات ما يلي:ـ

أولاً: ألا يخالف الحوار ثوابت الشرع

ثانيًا: أن يؤتي الحوار ثمرته

أولاً: ألا يخالف الحوار ثوابت الشرع

خلق الله الإنسان وفطره على الحق، وأودعه عقلاً يميز بينه وبين الباطل، ويفرق بين الغث والثمين، وأرسل له الرسل مؤيدين بالآيات والمعجزات ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ (النساء: 165) وختم النبوات بسيدنا محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ (الأحزات: 40).

وعن أبي هريرة، ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وجمّله إلا موضع لبنة من زاوية من زاوياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة! قال: فأنا

اللبنة، وأنا خاتم النبيين "(1).

فكان الإسلام الدين الخاتم، وكان آخر ما نزل به الوحي إلى يوم القيامة، وإذ كان الأمر كذلك، فقد اختلفت رسالة الإسلام عما قبلها، فهي عامة شاملة موضوعًا وزمانًا ومكانًا وأشخاصًا، وبالأحرى فهي صالحة لكل زمان ومكان وعبر مختلف البيئات والعصور والأمصار. قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (سبأ: 28)، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (يوسف: 104)، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: 1).

هذا السمت العالمي لشريعة الإسلام حباها بالكمال والتمام. قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ (المائدة: 3). كيف لا وهي تحوي الخير كله، مبناها على الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، وأساسها المصلحة. قال الإمام بن القيم: "فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن دخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي اهتدى به

(1) متفق عليه: صحيح مسلم: في كتاب الفضائل - باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، قم (2286)، ووافقه البخاري من غير هذا الوجه عن أبي هريرة برقم (3535).

المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل، فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح، وبها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل الخير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخرجت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم، رفع إليه ما بقي من رسومها. فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم وقطب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة" (1).

ولذا كله، كان جناحا الشريعة جلب المصالح ودرء المفاسد، قال الإمام العز بن عبدالسلام "إن الشريعة كلها مصالح العباد، إما درء مفاسد أو جلب مصالح" (2). فراعت الشريعة الإسلامية مصالح العباد كافة سواء كانت ضرورية لا قيام للحياة بدونها، وبفوتها يحل الفساد والفوضى ويختل نظام الحياة، والمتعلقة بحفظ الدين والنفس والعقل والعرض والمال، أم مصالح حاجية يحتاج الناس إليها ليعيشوا فى يسر وسعة، وبفوتها يصيب الناس ضيق وحرج؛ كرخصة الفطر للمريض، أم مصالح تحسينية، ترجع إلى محاسن العادات ومكارم الأخلاق، وبفوتها تخرج حياتهم عن النهج الأقوم، وما تستدعيه الفطر السليمة والعادات الكريمة كالطهارة" (3).

---

(1) راجع إعلام الموقعين عن رب العالمين، للإمام ابن القيم الجوزية. . تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث 1422 هـ- 2002 م، المجلد الثاني - ج3 ص5.

(2) راجع: قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام ، ج1 ص 9

(3) انظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامي، د/ عبد الكريم زيدان، دار عمر بن الخطاب، ص 48

هذه العالمية استوجبت كذلك أن تتنوع أحكام الشرع(1) بين أحكام تفصيلية ثابتة لا تتغير بمرور الزمان والمكان، كأحكام العقيدة الإسلامية والأخلاق وبعض الأحكام التفصيلية الخاصة ببعض علاقات الأفراد فيما بينهم، كتحديد المواريث، ناهيك عن أصول الأحكام والمحرمات وغيرها من الأحكام القطعية كتحريم الربا وبيان الأحكام الخاصة بالحدود والقصاص، إذ تبقى إليها الحاجة في كل زمان ومكان، وقد أتت الشريعة فيها على أتم بنيان، لا يتصور فيها جورٌ ولا يعتريها نقصانٌ.

والنوع الآخر من الأحكام قد جاء على شكل قواعد ومبادئ عامة مراعاة لتغير الزمان والمكان، وإيفاءً بحاجات الإنسان، وتحقيقًا لليسر وعدم الحرج، وانتفاءً للضيق والمشقة، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ (البقرة: 185). وقال عزَّ من قائل: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: 6).

ومثال ذلك النوع: مبادئ الشورى والعدالة والمساواة وغيرها مما لم ينظمها الشرع تفصيلاً، ولكن ترك ذلك بحسب تغير العصور والأزمنة والظروف والأحوال، مما يسجد العبد لله شكراً على هذه النعمة المسداة، والصبغة المهداة، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ (البقرة: 138) نعم، ونحن له عابدون، كيف لا وهو العليم اللطيف الخبير، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ (الملك: 14)

هذا هو شرعنا الحنيف الذي ما فتئت الأفئدة إن عرفته، حتى آبت إلى

(1) المرجع السابق وبتصرف ، د/ عبد الكريم زيدان، ص 50 وما بعدها

أصلها، ورجعت عن غيها، لا يحتاج إلا إلى رجال، نعم، رجال قال الله تعالى فيهم: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: 23)، وقال تعالى﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ * لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور: 37ـ38).

نعم، لا يحتاج إلا لمحام ماهر(□) في صورة عالم ربَّاني أو داع مخلص أو واعظ صادق، لاسيما مع انتهاء النبوات، نعم، محام يبرز عظمة الإسلام، ويوضح خيريته، ويبين فضله، ويجلي محاسنه، ويفرد فوائده، فهذا هو مبلغ أي حوار ومنتهاه، نعم، فهو مبتغى أي حوار كان وسيكون، وهدف أي حوار قام وسيقوم، هو أساس الحوار ومناطه، ومحكه وإطاره، ومضمونه ومجاله، لا عاطفة ولا إحساسًا، لكن علمًا وواقعًا، علمًا يوضح فقر الأديان والفرق والملل الأخرى وكافة النظريات الوضعية عن أن تصبو بالإنسان إلى مراقي الكمال والفلاح، وواقعًا يغني عن المقال وينطق بكل لسان إلى حاجة البشرية كافة إلى ريٍّ بعد عطشان، وإلى شبع بعد جوع وحرمان، ومحله في شرع كل إنسان، من الرحيم الرحمن.

ونظرةٌ إلى الواقع المعاصر لتجعل المرء يبكي دمًا لا دموعًا، ويزداد ألمه ويشتد نحيبه، ويتقطع الحسرات تلو الحسرات، ترى لماذا ؟

فبعد أن بذل في هذا الدين النفس والنفيس، بدءًا من المال والدماء، ومروراً بتضحيات جسام، وتحملاً لكافة أنواع الأذى والمشقات، من رأس الدعوة، سيدنا محمد ﷺ وأصحابه الكرام، وأتباعهم من علمائنا الأعلام، الذين ما فرطوا في دينهم طرفة عين ،بل حملوه ولو على أكفانهم، كما نزل به الوحي غضًّا

(□) كما كان يقول بذلك دائمًا الشيخ/ محمد الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ.

طريًّا، بلا تحريف ولا تبديل، ولا تغير ولا تغيير، لا استجابة لواقع مرير، ولاضغطًا من سوط ترهيب، ولا توصلاً لذهب معز، ولا تمييعًا لِلصراط المستقيم، واليوم فوجئنا بأطر للحوار مفتوحة، وبسبل للنقاش مطروحة، تتحدث عن الإسلام وكأنه سُبَّة في جبينها، وتتخندق به في خندق الدفاع، وتلون به وتتلون كيما يرضي الآخر، كيف هذا؟

الإسلام الذي أرسله الله للعالمين، أيكون به الحوار كذلك ؟!

الإسلام الذي كلفنا الله بنشره وتبليغه للناس كافة، أهذا هو مقتضى نشره وتبليغه ؟!

الإسلام الذي قال الله فيه﴿الٓمٓصٓ* كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الأعراف: 1ـ2).

نَعم، لا تتحرج من الإنذار به، لا يكن في صدرك حرج من إنذار من حاد عنه بقصد أو بغير قصد، عسى أن يعود إلى ربه، ويعود إلى كتابه، إلى الفطرة الرشيدة، إلى الدين القيم، إلى العقل الأسَدّ، وذكرى للمؤمنين، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الذاريات: 55)، وتثبيتًا لفؤادهم، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ (الفرقان: 32)، تثبيتًا للفؤاد عن أن يؤثر فيه ريبة المرتابين، وضغط الضاغطين، وضعف الضعفاء، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 74).

بل لقد حذرنا الله من كتم الإسلام بالعذاب الشديد، وألا نشتري به ثمنًا قليلا، قال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ (البقرة: 159)

والعجيب من الأمر، أننا نكتم مافيه الخير والنور والهدى المؤيد بالدلائل

الواضحات، والمعجزات البينات، كيف ذلك؟! بل توعد الله عز وجل هذا الصنف الذي باع آخرته بدنيا غيره، توعده بماذا؟! قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة: 174) ترى هل فقهوا وقدروا ما باعوا وما اشتروا؟! ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: 175)، أوليس هذا فعل الذين أوتوا الكتاب من قبلنا؟! قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: 187).

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله، ﷺ: "من كتم علمًا عن أهله، ألجم يوم القيامة لجامًا من نار"(1).

الإسلام الذي يحمد المرء ربه عليه أن ولد مسلمًا، الإسلام الذي حق علينا أن نفتخر ونتباهى به، الإسلام الذي وجب علينا أن نطوف به العالم حتى تستقيم البشرية بعد ضياع، وتهتدي بعد ضلال، وتفيق بعد غفوة، ويصلح حالها بعد طول فساد.

الإسلام الذي حذرنا الله إن تنكبنا عن حمل الأمانة فسوف يأتي بقوم يحملونها ويقومون بها حق القيام، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ (محمد: 38)، تعالوا لننظر معا إلى صور للحوار، جعلت هذا الإسلام مجالا للحوار على غير ما أراد ربنا سبحانه وتعالى، ومن ذلك ما يلي:

---

(1) صحيح: صحيح الجامع، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني برقم (6517)، طبعة المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988م

أولاً :حوار الأديان!!

ترى ماذا يقصدون به؟! وما هدفه؟! وما موقف صحيح الإسلام من ذلك الحوار؟! يقولون حوار الأديان!! فأين هذا الحوار من أنهار الدماء التي تنزف فى بلاد المسلمين ؟!!

هم يقولون نحن لا نتكلم في نقاط الاختلاف، بل نتكلم في نقاط الاتفاق- على حد زعمهم؟!!

من أجل ماذا؟!

من أجل أن يسود السلام العالمي وينتشر الوئام، وتنقضي الحروب!!!

إذن لابد وأننا سنصحو يوما على وقف عملي للحرب الشرسة على الإسلام والمسلمين، والتي لم تتوقف منذ بعثة الرسول الخاتم، سيدنا محمد !!

بداءة، هل يتفق هذا مع أولى مقومات الحوار؟!

قال العليم الخبير في كتابه الكريم والذي أنزله على الصادق الأمين: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران: 19)، وقال تعالى كذلك: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (آل عمران: 85) وقال الحق جل شأنه: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ (لقمان: 22) ،وعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال: "والذي نفس محمد بيده لايسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"(1). قال الإمام النووي في شرح الحديث: وفيه نسخ الملل برسالة نبينا ﷺ.(2)

---

(1) صحيح: رواه مسلم برقم (240) في كتاب الإيمان/ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد، ﷺ، إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته.

(2) انظر صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق عصام الصبابطي، وحازم محمد، وعماد عامر، طبعة دار الحديث،1415هـ – 1994م، شرح الحديث السابق.

وإذا ثبت هذا، تعالوا لننظر كيف يكون الحوار معهم من الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 64)، إذن مقصود الحوار، ونقطة الإلتقاء، لا تكون إلا على التوحيد وعبادة الله ﷻ وحده، ونبذ الشرك وعبادة الأرباب والرهبان، فإن أبوا فلنعلنها صراحة، إنا مسلمون، نعم، مسلمون قلبًا وقالبًا، روحا ومادة، شكلاً ومضمونًا، لا نفرط في ذلك قيد أنملة، أم نسينا أن هؤلاء من أهل الكتاب الذين يجب دعوتهم، أم أن الدعوة قد نسخت؟! ولذا قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ۞ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران: 98ـ99)، وقال عز من قائل: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۞ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 70ـ71).

ولقد طبق ذلك نبينا محمدﷺ، والسنة النبوية مليئة بهذا، كيف وقد بعث أساسًا لإخراج الناس جميعًا من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد، ويكفي مثالا على ذلك، أنه لما نمى إلى خبره أن غلامًا غير مسلم على فراش الموت أسرع إليهﷺ، كيما ينقذه من نار الجحيم، عارضًا عليه الشهادة، وأبوه حاضر، فنظر الولد إلى أبيه، فما كان من الأب وابنه قاب قوسين أو أدنى من النار، إذا مات على غير الإسلام، فلا وجه حينئذ للجحود وللاستكبار، فابنه سيخلد في نار جهنم إن مات على كفره، فقال له الأب: أطع أبا القاسم، فتشهَّد الغلام ثم مات، فسُرّ النبي ﷺ، واستبشر أيما استبشار، وحمد الله ﷻ أن

أنقذ الله به نفسا من النار(1)، هكذا يكون الحوار، وهكذا يكون موضعه، وهكذا يكون موضوعه.

وإذا كان شرع ربنا كذلك، فإن ما يدعى أو يسمى بحوار الأديان يفتقر لأولى مقومات الحوار، إذ مخالفته لثوابت الشرع جلية واضحة، فمقصود الحوار مع غير المسلمين ليس إلا دعوتهم إلا الإسلام، لا تركهم على وضعهم هذا بدون بيان الحق فيه، وهم أحرار في الإسلام أو عدمه، قال الله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ (البقرة: 256)، أما الحوار في غير هذا فلا يسمن ولا يغني من جوع ـ كما سيتضح في ثاني مقومات الحوار ـ بل سيجلب سخط الله علينا، إذ نكون موسومين من قبل رب العزة بالتقصير في البلاغ، وليت الأمر يصل إلى هذا وحسب، ولكنه يتعدى ذلك إلى أمور من الخطورة بمكان، إذ يصبح المرء على هذه الحال وكأن الأمر عاديّ، وكأنهم على الصراط المستقيم، وكأنه لا يوجد دين خاتم، ولا شريعة خاتمة، ولا رسالة عالمية، ولا شريعة عامة، وكأنه لا يوجد ولاء للمؤمنين وبراء من الكافرين، كما نص على ذلك رب العالمين، وكفى بذلك كله مضرة لهم يوم العرض على القهار الجبار، إذ كيف يكون مصيرهم؟! بل كيف يكون مصيرنا حالئذ؟!

ثانيًا: الحوار مع العلمانيين

العلمانيون هم طائفة من الناس همها الأكبر القضاء على الإسلام وأهله؛ فهم ذيول وأذناب المستعمرين في دول الإسلام بعد ما ثبت أن البدء بالغزو العسكري لبلاد الإسلام لا يفلح مع المسلمين، فربوا هذا الطابور الخامس على أعينهم، وأغدقوا عليهم من وسائل التبجيل والتكريم، وأضفوا عليهم هالة من الجلال والتقديس، وقلدوهم المناصب المؤثرة والتي يقاد بها الناس اقتيادا، ولا

(1) انظر الحديث بتمامه في تلخيص أحكام الجنائز، للشيخ الألباني، ص12 برقم 16 ، طبعة المكتب الإسلامي.

تزال تستمر سلسلة هذا الإسناد المدلس، والتي زرع أصلها في بلاد المسلمين إلى يومنا هذا؛ لتؤدي مهمة الاستعمار القديم في ثوب جديد، ولا عجب فهم أفعل أثرًا وأشد فتكًا، وأبعد تأثيرًا، أليسوا من بلاد المسلمين؟! أليسوا يتكلمون بلسان المصلحين؟! وهم ينفثون سمومهم في وسائل الإعلام والثقافة وغيرها بغية هدم الإسلام وأهله.

وتتمتع هذه الطائفة بقدرات فائقة على التلون من النقيض إلى النقيض، فبالأمس القريب كانوا من عباد الاشتراكية، ومنهم من ركع وسجد للشيوعية، فلما دفنت ـ كما هو مآل أي مذهب وضعي ـ سرحوا مع الرأسمالية، لها يتبتلون ويبتهلون، فتراهم يتغنون بالديموقراطية وحقوق الإنسان وحرياته، وهم فيما بينهم لا يعرف لأحدهم حق مع أخيه، يقولون بالديموقراطية، وحتى مع عوارها، ترى ديموقراطيتهم هذه لهم لا عليهم، يحلونها عامًا ويحرمونها عامًا، وصدق الله إذ يقول تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ (النجم: 23)، وأتعجب!! فما دام الله لم ينزل الله بها سلطانًا أفتتخذونها أولياء من دون الله؟!!

بل ويزداد عجبي !! وكل دارس على يقين جازم بخلل وفساد هذه الأفكار والنظريات الوضعية، والتي بدأت تتساقط وتذبل الواحدة بعد الأخرى، فيشتد عجبي !! بعد بيان الله هذا ، وافتقاد السلطان الإلهي لهذه الترهات ، والتي يخترعونها الواحدة بعد الأخرى ليلهوا بها المسلمين. إذ تجد طائفة تنساق انسياقًا وراء هذه الترهات، كيف وقد ثبت يقينًا أنها مجرد مسميات يلاعبون بها سذج العقول أمثالنا، فإن أدت دورها في حقبتها، وبحسب التخطيط المرسوم، انتقلوا إلى إله آخر، يغنون له، وبه يتغنون، وينساق فريق من المسلمين وراءهم، فيقولون إن الديموقراطية شيء عظيم، وهى الوسيلة المثلى للحكم في الأرض!! فهل طبقت بين السود والبيض في فى البلاد الغربية؟!! وهل نتج عنها

إلا تشريع اللواط والشذوذ؟!! وهل طبقت على الضعفاء منهم؟!! فكيف بالمسلمين؟!! انتبهوا أيها السادة، أنتم تتكلمون باسم الإسلام!! ومن يتكلم باسم الإسلام كيف ينخدع المرات تلو المرات بمجرد آلهة صنعها القوم بأيديهم، ثم يغيرونها متى أرادوا، وكيف رغبوا، فهم ليسوا إلا عبيد هوى، ولذا أتبع الله ما قيل في الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ﴾ (النجم: 23). إذا كانوا قد أخذوا من بلاد المسلمين بذور التقدم في القرون الخالية، فكان أولى بهم، ثم أولى، أن يأخذوا من منبع هذا التقدم، من الوحي الإلهي، لاسيما وقد وجدوا لدى المسلمين العطاء والإعطاء، لا كما يحجبون عن العالم كله سبل التقدم، رغم أنها من بنات أفكار علماء المسلمين غالبًا، وإذا كان هذا شأن الكافرين دائمًا، الجحود دائمًا، فكيف يكون هذا مسلك المسلمين إزاء هذه الآلهة المفتراة، وقد عقّب الله عزوجل في ظل الآية الكريمة السابقة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ (النجم: 23).

كيف بنا ـ نحن المسلمين ـ مع وجود الهدى من ربنا تبارك وتعالى أن نسترسل في ترهاتهم التي يؤلفونها تأليفًا، ويسبكونها سَبْكًا، ويعدلونها تعديلاً وفق أهوائهم ومصالحهم!!! ولذا تجدها حيث توافق مصالحهم، وتفتقدها حيث تخالف أهواءهم، ومع ذلك فالمسلمون وراءهم، قالوا يساراً، فليكن اليسار هو الصراط المستقيم، ثم قالوا ـ على النقيض ـ يمينًا، فاليمين هو الخير المستطاب، وبعد أن بليت هذه الأفكار، وأصبحت تمثل مللاً ورتابة على النفوس، خاصة وأنها قد أدت الدور المرسوم لها في هذه المرحلة، إذ غرقت بلاد المسلمين في هذه المستنقعات الفكرية، التي تخالف أصول الإسلام سياسة واقتصاداً واجتماعًا، حتى تاه المسلمون وراء هذه الأكذوبات، ومن أثر هذا الوحل الفكري ما تراه من أحدهما يجاهر بالعلمانية!! وآخر متأثر بالشيوعية!!

وثالث مفتون بالديموقراطية!! ورابع وخامس وسادس !!! .....إلخ

ولا أدري أنسخ الإسلام؟!! أم أنه إسلام جديد غير الذي أنزل على سيدنا محمد، ﷺ؟!! وسألت نفسي: ترى لو كان رسول الله ﷺ، حيًّا أكنا نسمع هذا الهراء، أم أنهم سيتبعون آلهتهم التي يقتاتون من ورائها؟!!

وتعالوا لنسأل: هل الإسلام يقبل فصل الدين عن الدولة؟!!

هل الإسلام يحرم الملكية الخاصة؟!!

هل الإسلام يترك للفرد أن يحلل ويحرم كيفما شاء، وكأنه يسلب الله ﷻ خاصة التشريع؟!!

وإذا كان البعض يتبع هذه الأمور ، فماذا كان يتبع تفصيلها؟!!![1]

وبعد أن أشربت بلاد الإسلام هذه الترهات، جاءت أسماء جديدة تناسب طبيعة المرحلة الحالية بحسب التخطيط المرسوم، مثل، العولمة، والكوكبية.....إلخ

اربط بين هذا ، وبين ما يجري على الواقع المعاصر من تفتيت للدول الإسلامية الواحدة بعد الأخرى، لطالما حُذِّر منه ولا مجيب، فستدرك هنالك كم السذاجة التي يعاني منها المسلمون ، بل وللأسف بعض علمائهم، ومع ذلك فإنه مما يجعل الأخرس ينطق، أنك ترى التبريرات والتحليلات التي لا توافق كتابًا ولا سنة، والتي تحاول أن تجد مواقف فردية أو غيرها ممن لا يملكون من الأمر شيئًا وتسير وراء هذه الترهات، أما يكفيكم وحي ربكم؟!! أما تتدبرون الواقع الأليم؟!! أتنتظرون أن يأتوا إليكم ويعلنوها صراحة: إننا نحاربكم؟!!

([1]) تلكم هي مجرد إشارات سريعة لفساد هذه الأطروحات، والتي ليس هنا مجال تفنيدها، ومن شاء فليراجع المراجع المختصة بذلك.

بل قالوها صراحة في كتبهم وإعلامهم، فماذا بعد الحق إلا الضلال، أفلا تعقلون؟!!

إن العبد، وهو يصدق ربه، يسجد لله تعالى شكرا أن بسط لنا قراءة عقول الآخر لنستبين سبيل المجرمين، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: 55).

إذن، من أجل السيطرة النهائية على العالم نسجت هذه المصطلحات، ومن أجل تدشين آلية متجددة للاستعمار ـ كما كانت، ولا تزال ـ كانت العولمة وغيرها.

ومن هنا يأتي الدور الحيوي والمتجدد لمثل هؤلاء العلمانيين لتسمع طنينهم ترى ماذا يقولون؟!!

كيف نستطيع أن نقف أمام هؤلاء؟!!

كيف نغلق على أنفسنا الباب وقد أصبح العالم كله قرية واحدة؟!!....الخ

أما حديثكم عن النصر فله رجاله الذين يعملون له لا عليه!!!

والحاصل أن هؤلاء هم العلمانيون، وهذا هو هدفهم، وتلك غايتهم، والسؤال الآن: هل يتصور من هؤلاء قول الحق؟!

هل يتصور ممن يحارب الإسلام ليل نهار، وبغير وسيلة، وفي كل نطاق، وعبر كل الجبهات، ويقتات من وراء ذلك، أن يكون وقّافـًا عند الحق، مجتنبًا للباطل؟!!

إن ما أعنيه من ذلك كله، أن التحاور مع هؤلاء ممن يتمسحون بالإسلام، لابد، بداءة، أن يكون حافظًا لثوابت الشرع، ومحافظًا على نصوصه، منطلقًا من أصول الإسلام، دونما نظر لزخارف ادعاءاتهم، والتي ليس لها من نصيب

على أرض الواقع، وإلا فأين هم من المسلمين الذين يذبحون في مشارق الأرض ومغاربها كالنعاج؟!!

فيا من تحاورون، انظروا من تحاورون؟!

إن القضية ليست في مجرد شبهات تفند، فهذا واجب بلا شك، لكن الجلوس معهم مرات ومرات، رغم دحض حجتهم، وإبطال مستندهم، بل يصل الأمر إلى ترديد أقوالهم، وكأن الأمر أنهم يأخذون من دعاة الإسلام وعلمائه كل يوم أرضًا جديدة، رغم أنهم غير معترف بهم من الأساس!!!

كيف نحاور من يطعن في دين الله ﷻ وهو لا يستطيع قراءة بضع آيات من القرآن الكريم؟!

كيف نحاور هؤلاء وهم لا يرتضون أساسًا بثوابت الشرع وأصوله؟!!

هؤلاء أساسًا لاحق لهم في الحديث باسم الدين، وإذا كان قد بسط لهم ذلك من قبل الداخل والخارج، وهم ليسوا أهلاً لذلك، فليس معنى هذا أن نفتح لأمثال هؤلاء بابًا جديداً يتصيتون منه، ولعل مما يدعو للغرابة أنهم يجعلون من يناقشهم يدور في حلقة مفرغة؛ إذ يفترضون افتراضات غير واقعية، تقوم قيامتهم ولا يسمحون بها. ومع ذلك تجد البعض ينساق وراءها، أفلا تفقهون؟!!

إن الرسول ﷺ، وهو في قمة الاستضعاف مع أصحابه الكرام، ومع شدة الإيذاء وتنوعه، وقسوة المحاربة وضراوتها، وفي كل ميدان، من سياسية واقتصادية واجتماعية وإعلامية وأمنية، ومع سياسة الترغيب والترهيب، وتوالي العروض عليه النبي ﷺ، لم يتنازل قط عن ثوابت الدين، ومن ذلك لما عرضوا عليه الإيمان بآلهتهم سنة وبالله سنة ، رفض ﷺ، رفضًا قاطعًا، وفي ذلك أنزل الله تعالى سورة الكافرون، قال تعالى﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝ لَآ

أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ* وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ * وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ * وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ * لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون : 6)

كان أولى بالنبي ﷺ، لو فكر تفكير البعض، وحاشاه، كان أولى به وهو يرى حالة الدين عامة، وحال أصحابه خاصة حالئذ، أن يتنازل عن هذه، ويتعاون مع هؤلاء، ويُرخِّص مع أولئك، لكن القضية تخص أصول الشرع، ثم إنه يعلم علم اليقين أن من يحاربه لايرضيه إلا إنهاء دعوته، إن عاجلاً أو آجلاً، ولو بقتله، وقد حاولوا، فهل يتركون من هو أدنى منه، أفلا تذكرون؟!!

وأخيرًا أقول أما آن للحوار مع هؤلاء أن يتوقف معلنا تميز الإسلام عن كل المذاهب الوضعية التي تخالف أساس الدين، كيف وقد صدرت ممن ليس أهلا لها، أما عن جدوى الحوار معهم، فذلك خاص بثاني مقومات الحوار، كما يلي:

ثانيًا : أن يؤتي الحوار ثمرته :

قد يحظى الحوار بالاتفاق في الرأي فلا يكون ثمة خلاف، وهو أمر وارد، وهذا لا مشكلة فيه، لكن غالب الحوار يعتريه اختلاف الآراء وتعارضها، وحيال هذا الاختلاف لا بد أن نكون بين حق وباطل، قال تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ (يونس: 32)، إذن هناك حق وضلال لا ثالث بينهما، إذ لا يعقل أن يكون الرأي وضده صحيحين، فإما أن تصيب الحق، وإما أن يكون رأيك على الضلال.

وهذا الأمر ثابت كذلك في الخلاف الفقهي، بل ومن رحمة الله عز وجل في هذا الاجتهاد أن جعل المجتهد مأجوراً على كل حال، ولو لم يصب صحيح الرأي إزاء بذله جهده في الوصول إلى الحق، كيف وقد كانوا من أهل العدالة والتقوى، لكن أجره ينقص عمن أصاب الحق، فهذا الذي أصاب له أجران؛ بخلاف المخطئ فله أجر واحد، وذلك انطلاقًا مما ثبت عنه ﷺ، من قوله " إذا

حكم الحاكم فاجتهد فأصاب الحق فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد" (□).

وإذا كان هذا الاختلاف يسري في الخلاف الفقهي، فهو أحق أن يكون فيما هو متوهم الخلاف أو ظاهره الخلاف، والذي يكون فيه أحد الرأيين قد وافق الحق، والآخر قد جانبه نتيجة استناده لدليل مرجوح أو حديث ثبت ضعفه، أو استناد الأول لحديث لم يصل للثاني، أو غير ذلك مما يرجح أدلة الأول، لاسيما وقد دحض أدلة الخصم المتوهمة، وقارعها الحجة بالحجة، وأتى عليها بسلطان مبين، فهل بعد ذلك يكون ثمة حجة لمحتج؟!

فكيف إذا جمع أحدهم الشرق بالغرب خالطًا بينهما، كهؤلاء العلمانيين، كيما يكتمل بنيان دليل، وأخذ يلزق هذا بذاك، ويركب هذا فوق ذلك، لاويًا أعناق النصوص، متأولاً في غير تأويل، مجتهداً مع وجود النصوص، رادًّا لوحي السنة، مخترعـًا لفقه مهلهل ما أنزل الله به من سلطان، متشبثًا بموضوع وضعيف الأثر، وبعد هذا الهراء، تفند له أوهامه، ويطرح له بنيانه المتهالك، ويقرع له بيته المتهاوي، فلا يبقى له من حجة إلا الهوى، ولا يتبع من دليل إلا العناد، فماذا يجدي الحوار مع هؤلاء؟! وهل تكون له ثمرة؟!! ولذا قال الله تعالى: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (الحج: 68)، إذ لم يبق في الأمر ثمة حوار، بل جدال ومراوغة لعدم قبول الحق بعد وضوحه، ورحم الله الإمام الشافعي، الذي كان يدعو أن يأتي الحق على لا نجد لسان خصمه، واليوم، فإن الحق أبلج وأوضح من الشمس في رابعة النهار، ولكن نجد إلا الجدال والعناد.

(□) صحيح: صحيح الجامع برقم (493)

أما ما يسمونه حوار الأديان، فهل يؤتي ثمرته المرجوة حتى و لو لم يكن على إطار الشرع ـ كما تقدم؟!

سنتحاور ـ جدلاً وافتراضًا ـ على إقامة العدل والسلام وإشاعة المحبة والوئام. . . . . الخ

لكن هل تحقق ذلك كله يومًا واحدا للمسلمين في هذه العصور؟!!!

بل وهل تقدرون على تحقيقه عملاً؟!!

من الذي منه يتحقق الظلم والتجبر، أهم المسلمون الذين يذبحون كالنعاج في كل مكان؟!!!

المسلمون الذين لا حول لهم ولا قوة!!!

المسلمون الذين تسلب أراضيهم عيانا بيانا دون صوت لحق أو وخز لضمير حي!!

المسلمون الذين يقتل أطفالهم وترمل نساؤهم وتهتك أعراضهم بلا ذرة لحياء أو إنسانية!!!

المسلمون الذين يدفن رجالهم دفنًا في مقابر جماعية!!!

المسلمون الذين اغتصبت ثرواتهم في كل مجال!!!

المسلمون الذين تجرب فيهم الأسلحة كالفئران!!!

المسلمون الذين يعدون أكبر مصرف للسلع الاستهلاكية وغيرها بعد أن أخذ أولئك منهم الخامات وأعادوا بيعها لهم مصنعة!!!

المسلمون الذين يفرض عليهم أن يبقوا تحت وطأة الاستعمار في كل ميدان!!!

المسلمون الذين إن أرادت إحدى بلادهم الاستقلال بدينها تقوم الدنيا ولا تقعد، وإن أرادته إحدى دول الكفر فتطبخ لها القرارات طبخًا وتنفذ في أيام معدودات تحت راية منظمة الأمم غير العادلة!!!

وصدق من قال(□) :

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوصًا جناحاه
كم صرفتنا يد كنا نصرفها وبات يحكمنا شعب ملكناه

ترى . . هل ستنتهي الحرب المستعرة ـ ضد الإسلام وأهله؟!!

هل سينتهي التبشير في كل مكان؟!!!

ألقوا نظرة واحدة على حال المسلمين في بقاع العالم، وتكلموا بعدئذٍ كلمة عدل وإنصاف.

وإذا كان هذا كله لن يحدث، فما فائدة الحوار؟!! وما جدواه؟!! وما ثمرته؟!!

أهو تبديد للطاقات العاملة وتحويلها عن غير مسعاها؟ أم هو تمييع للقضايا؟ أم هو استهلاك للأوقات أم . . . . . الخ؟!!

والله الذي لا إله غيره، لن يسكتوا عن قتالنا، وبكل وسيلة، ولو عبر الحوارات المزعومة تلك، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ (البقرة: 217)، يا علماء الإسلام، أليست هذه صيغة المضارع التي تفيد التجدد والاستمرار؟!!

إذن القتال دائم ومستمر، ولو رغمًا عن أنفنا، ولو قدمنا لهم كل ما يريدون، ولو سرنا في ركابهم، ولو حسنت نيتنا، ولا، ولن يتوقف إلا في حالة ردتنا عن ديننا، وأول باب الردة نبذ أصول ديننا وثوابته، والتمييع بين الحق والباطل، بين الإيمان والكفر، ولا أحسب أن المسلمين يتناسون قول من يخرج ما تكتمه الصدور، قول ربنا تعالى: ﴿ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ

(□) شعر محمود غنيم من ديوان " صرخة في واد"، راجع رائق الشهد من شعر الدعوة والرقائق والزهد، وإسلاماه، جمع وترتيب الدكتور/ سيد حسين العفاني، الناشر مكتبة معاذ بن جبل، الطبعة الأولى، 1421هـ ـ 2001م.

حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ (البقرة: 120)، هنا ستنتهي تلك الحوارات المزعومة، وكيف لَا تنتهي وقد أصبح الباطل حقًّا والحق باطلاً، فهل من مصدق لكلام ربنا؟! هل من منفذ لنصيحة ربه؟!

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾(عبس: 5ـ10).

نخلص مما تقدم، أنه وحتى لا نكون بين العبث والسدى أو السراب والهمل في أعمالنا، لاسيما في دين ربنا، فلابد أن يكون مآل الحوار الوصول إلى الحق، وإلا فإننا نكون كمن يحرث في الماء، أو يتوهم السراب ويعيش الخيال!!!

opelkandl.com

المبحث الثانى

شروط الحوار

بعد الارتكاز على مقومات الحوار كمعول أساسي للحوار، فلا نتحاور فيما يخالف ثوابت الشرع، على أن يؤتي الحوار ثمرته المرجوة منه، تأتي شروط الحوار، وهي كالتالي:

أولاً: عدم مصادمة الكتاب أو السنة

ثانيًا: الموضوعية

أولاً: عدم مصادمة الكتاب والسنة

يأتي عدم مصادمة الكتاب أو السنة كأول شرط للحوار، حتى يكون حواراً له قيمته ودوره في خدمة الفرد والمجتمع، إذ إن ثمة مصادمة للوحي تعبر عن خطأ في الحوار لا بد أن يوجه وجهته الصحيحة.

وقد يعتقد البعض أن هذا الشرط هو محض تكرار للمقوم الأول من مقومات الحوار، والأمر على غير ذلك، إذ المقصود هنا عدم معارضة نصوص الوحي، ولو في غير ثوابته، أما المقومات فهي المرتكزات الأساسية التي تنفذ من خلالها إلى الدائرة الأضيق، فعدم مخالفة ثوابت الشرع، لا تسيغ البتة عدم مخالفة باقي نصوصه. وأعتقد أنه لا بد من هذه التفرقة؛ إذ لها مدلولها على أرض الواقع، فشتان من يضرب جذور الشرع وثوابته، ومن يخالف نصوصه. فالأول مقصده هدم الإسلام وأهله، والثاني اجتهد فخالف سواء دون قصد أو لهوى في نفسه، والأول يطرق الخط المميز بين الإسلام وغيره، والثاني هو في دائرة الإسلام. ثم إني قصدت من ذلك أن من يطعن في أصول ومقومات الإسلام لا سبيل للحوار معه ـ إن كان مسماه مسلمًا ـ إلا أن يذعن لدين ربه، أما أن نتحاور معه فذلك يكسبه اعترافًا لا يجد نظيره. وليس معنى ذلك، كما تقدم،

ألا نبطل حججه، كيف وهي من بنات أفكار المستشرقين، فإبطالها شيء، ويكون بغير وسيلة دون أن نرفع من شأن هؤلاء، وهم لا يعرفون قراءة بضع آيات أو أحاديث قراءة صحيحة، ونتحاور معهم، أما من تنكب السبيل بهم في اجتهادهم، فسلطان الحق قاهر لمعارضيه، ولم يبق بعد ذلك إلا إذعان لحق أو اتباع لهوى، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(القصص: 50).

والمقصود بعدم مصادمة الكتاب والسنة، ليس عدم مخالفتها أو معارضتها فحسب، بل كذلك كل مصادمة لمصادر الفقه ـ وإن كانت فرعية ـ كالمصلحة المرسلة، إذ لا يجوز الادعاء بوجود مصلحة مرسلة رغم عدم توافر شروطها.

ويخرج من هذا الباب ما هو محل الخلاف بين أئمة الإسلام مما يتسع فيه الخلاف، لوجود أسباب للخلاف قائمة، كما هو جلي واضح في الأحكام العملية، إدراك المأموم للإمام في الركوع، وهل تحتسب له ركعة أو لا؟ والجهر بالبسملة من عدمه، ووجوب الزكاة في حلي المرأة، وفرضية النقاب واستحبابه . . . إلخ.

وسبب وجود هذا الخلاف عامة أن أسبابًا منه لا زالت قائمة، كاختلاف الاستنباط من النص والنظر إليه، واختلاف العلماء في الحديث المستند إليه بين مقبول ومردود، ولاتساع المعنى في اللغة كالقرء، إذ يعني الطهر، كما يقصد به الحيض، إلى غير ذلك مما هو ليس محل استقصاء في هذا البحث.

ولذا فيكون التعامل الأمثل في هذا الخلاف على نحو ما فعل أئمة السلف، وكما قال غير واحد من الأئمة "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب"، مع احترام أدب الخلاف واتباعه، وللأسف الشديد في عصرنا يرجح البعض أحد الآراء ويصعد به إلى السماء، وكأن المسألة قطعية لا

خلاف فيها، ويرمي غيره بالقصور والجهل واتباع الهوى وغير ذلك مما لم يكن من هدي النبيﷺ. بل، ويعرض الأمر أمام العامة على هذا النحو، فتجد العوام في تخبط دائم بين تأييد هذا الرأي ومعارضته، ويضرب بعضهم ببعض. ولا يسلم العلماء من ذلك، فتدور حروب ضروس مع غير عدو، وفي غير جدوى، إذ الخلاف قائم وسيظل إلى قيام الساعة، مما لازالت أسبابه قائمة، والصحيح أن يقال "أصح الآراء بالنسبة لي كذا أو أرجحها كذا"، لا سيما وأنه لا عقاب على مختلف فيه مما لازالت أسبابه قائمة.

بيد أن المراد من هذا المبحث، أقصد عدم مصادمة الكتاب والسنة، ما هو متوهم الخلاف أو ظاهره الخلاف، ولكنه عند التحقيق ليس بخلاف، بل هو رأي صواب، وآخر خطأ، وهذا أمر من الخطورة بمكان، إذ راق لكثير من المتساهلين، تحت دعاوى شتى، كلما وجد تعدداً للرأي في مسألة أن ينسبها للنوع السابق الخاص بالخلاف الحقيقي، ويجري عليها ما جرى عليه، فيختلط الحابل بالنابل، ويضيع الشرع من وجه جديد بسبب تساهل أبنائه في غير محل تساهل، لاسيما وأن أكثر أمور الفقه كذلك، بل وهذا منثور لا بين المذاهب المتعددة فقط، بل في طيات المذهب الواحد، بل أكثر من هذا لو رام لك الحصول على أي رأي تريده ستجده موجوداً، بل ومنسوباً لغير إمام، ولا يهم عند هؤلاء إن كان خطئًا أو شاذًّا أو مرجوحًا، ولو درس وحقق المسألة لوجد أن كثيراً مما يزعم فيه الخلاف ليس بخلاف. والأمر يحتاج إلى نية خالصة وتجرد للحق وترك داعي الهوي، والاحتكام لصحة الأدلة وعدم التأثر بضغط الواقع أو الترخيص للناس فيما لا يكون فيه رخصة بزعم التخفيف عنهم أو لأنهم ليسوا على الجادة، أو إبداء تلك الآراء نتيجة للافتتان بالحضارة الغربية وما هو سائد في العالم المعاصر، وكأن ذلك هو الوحي الجديد الذي يجب أن نلوي أعناق النصوص له، ونحملها فوق ما تحتمل، ونوجد له التبريرات، ونبحث عن رأي

فقهي قال بهذا، وستجد. وهذا هو محك الأمر، وهذا هو ما انجرف إليه كثير ممن يفتون الناس في أحكام دينهم. ولو راجعت جمهرة آراء العلماء المحققين في هذه المسائل، لتجد العجب العجاب! إذ المسألة قتلت بحثًا، وهم بلاشك أفضل منا علمًا وعملاً، وليسوا واقعين تحت الضغوط المعاصرة، أيعقل أن يسير علماء المسلمين طيلة أربعة عشر قرنًا على الخطأ؟! بالقطع لا يرضى الله بذلك، ومثال هذا ما اختطت فيه الحضارة الغربية طريقًا مخالفًا لطريق ربها، ومن ذلك كثير من الأمور المتعلقة بالمرأة، كعملها وتوليها الولايات العامة.

- آلله الذي حفظ القرآن وما فيه يترك علماء المسلمين أربعة عشر قرنًا على الخطأ؟!
- المرأة التي لها أحكام خاصة في التشريع الإسلامي، يفعل بها مثل ما تفعلون أنتم !
- ولو أن الغرب ما فعل هذا، لم نكن لنجترئ على أن نفعله، ولكنه الافتتان بالغرب !
- وإن تعجب، فعجب قولهم ! قولهم إن آية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب: 33) خاصة بنساء النبي ﷺ دون نساء المؤمنين!!

إذن، تكملة الآية : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ (الأحزاب: 33) خاصة بنساء النبي ﷺ كذلك فقط! ! ولماذا هذا فحسب؟ بل أي أمر موجه إلى النبي ﷺ خاص به كذلك دون المؤمنين ! !

فهل هذا يرضي الله ورسوله أم أن الأمر أننا لسنا إلا أسرى لأفكار الغرب؟!

المرأة التي جعل رسول الله ﷺ صلاتها في حجرة داخل بيتها أفضل من صلاتها معه، يبيحون لها الاختلاط وتولي القضاء، بل واشتطّ البعض، فجعل

لها رئاسة الدولة رغم مخالفة النص في قوله ﷺ "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"(□). ناهيك عن خرق الإجماع بعدم جواز توليها الرئاسة العامة للدولة.

- المرأة التي أمرها الله عز وجل بغضّ البصر وعدم الاختلاط بالرجال تبيحون لها ذلك ! !
- المرأة التي جعل الله شهادتها على النصف من شهادة الرجل، أتتولى القضاء؟!

المرأة التي تحيض وتحمل، وخلقها الله على خلقة تغاير الرجل كيما تتناسب مع مهمتها العظيمة التي لن يفلح الرجال في القيام بعشرها، تنكسون فطرتها رغم أن النصوص واضحة جلية بينة لا تحتاج إلا إلى التطبيق لا التأويل في غير موضعه.

وحديثًا، أصدر الرئيس الأمريكي في عام 1423هـ ـ 2002م قراراً يمنع اختلاط البنين والبنات في المدارس الأمريكية، فكيف يتم الاختلاط في غيرها؟!! وما موقف الذين يبيحون هذا بعد ذلك القرار؟! !

ثم إن الواقع الغربي خير شاهد على ضعف ما وصل إليه خصوصًا فيما يخص المرأة، كيف وقد جعلها سلعة مبتذلة رخيصة هينة لكل ساقط ولاقط، وبدأوا يرجعون ثانية إلى الحق!

ونعود قائلين إن المسألة ليست مسألة معاصرة كزرع الأعضاء وغيرها، ومادامت كذلك، فلا يعقل أن يترك علماء المسلمين طيلة أربعة عشر قرنًا من الزمان، وبعد ذلك يوسم من يحرص على الحق بالجمود والتخلف، ومن أهل الإسلام؟ فهل هؤلاء الأئمة الأعلام السابقين كذلك؟! !

ثانيًا: الموضوعية

(□) صحيح: رواه البخارى برقم (4425) ، كتاب المغازى – باب كتابه ﷺ إلى كسرى وقيصر.

والمراد بالموضوعية في الحوار ثبات المعايير التي يحتكم إليها في الحوار، واطرادها على مفرداته، بحيث لا نأخذ في جزئية بمعيار، متى وافق ما نصبو إليه، ولا نتحدث عنه حال مخالفة ما نريد، وبالأحرى أن يكون ثمة مكيال واحد يسري على كل مفردات الحوار.

ومبعث عدم الموضوعية غالبًا هو عدم التجرد للحق والحياد له، والتعصب إزاء فكرة أو رأي أو نتيجة معينة، وليٍّ أطر وأدلة مضمون الحوار ونحوها، ورحم الله علماء الإسلام قاطبة حينما صدَّر كثير منهم مصنفاته بما رواه عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه"(1). ولو تجرد الناس للحق بعيداً عن نزعاتهم وأغراضهم، لهداهم الله إلى الحق اهتداءً.

ومن صور الحوار الديني التي تُفتقد فيها الموضوعية الحوار مع أعداء السنة النبوية المشرفة؛ إذ لما أنزل الله الكتب السماوية السابقة على أهل الكتاب، قاموا بالتحريف والتغيير والتبديل وكتم ما أنزل الله عز وجل. وإزاء ذلك، ولأن الرسالة المحمدية رسالة خاتمة، فقد تولى الله ﷻ حفظ كتابه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(الحجر: 9). ولما كان لا مجال لرد القرآن صراحة وعلانية، لاسيما وأنه حمال ذو أوجه، جاء الطعن على السنة النبوية المطهرة، سبحان الله! وكيف يتولى الله حفظ كتابه ثم لا يحفظ ما هو مبين ومؤكد له، أقصد السنة النبوية، لا سيما وأنها قد تنشئ حكمًا جديداً ليس في

(1) متفق عليه: أخرجه البخاري (1) في أول كتاب بدء الوحي، راجع فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ بن حجر العسقلاني – طبعة دار الحديث – الطبعة الأولى – 1419هـ – 1998م – المجلد الأول.

(1) في الإمارة، باب: قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية.

القرآن كتحريم الجمع بين المرأة وأختها أوعمتها، وتحريم لبس الحرير والذهب على الرجال وغير ذلك. ورغم أن الدارس لتاريخ السنة النبوية ليجد العناية الفائقة في تحرير وتحقيق تلك السنة، بل انظر إلى مصنفات السنة لتجدها أكثر من مصنفات ما ورد في تفسير القرآن الكريم وما يتصل به، فالسنة النبوية قد لاقت أتم تنقيح، وأتم فرز وبيان المقبول والمردود على أحسن توثيق بما لا يشهد العلم ولا العالم مثله في أي علم، حتى صنفت عشرات المصنفات في أبواب علوم الحديث ومصطلحه.

ورغم ذلك، بات المستشرقين يقذفون باطلهم وصولاً لرد السنة المطهرة، واختطّ البعض طريقهم، والعجيب أن كل ما أثير من ترهات حول السنة النبوية قد أشبع ردًّا، وقتل بحثًا، وحينما يبتليك الله بمحاورة أحد هؤلاء فسترى فقراً في العلم، وسطحية في التفكير، وضموراً في الفكر، وافتقاداً لأية موضوعية، إذ سرعان ما يتجرأ أحدهم على رد صحيح السنة بزعم أن الحديث لا يوافق عقلهم!! فإذا سألته في تخصصه لنحتكم إلى معيار موضوعي ثابت، فإن كان من أتباع القانون الوضعي، وقلت له: أما تتبع قواعد أصول القانون وتطبقها على مواده فيسارع قائلاً: بالطبع نعم. إذن، تعال لنحتكم لقواعد صحة الحديث من عدمه، فلا يكون منه إلا اللاءات!! أليس لكل علم أصوله؟!! لا، هم يحلّونه في القانون، ويحرمونه في الشرع!! ثم، لو تطرقنا لمتن الحديث وموضوعه، فسترى سلطان الحجة قائمًا فيما سطره العلماء في الرد على ما لا يعجب هؤلاء، وتلكم هي الحقيقة. والحقيقة إنهم لا يبحثون عن الحقيقة. فالمسألة ليست حديثًا صحيحًا أو ضعيفًا، وإنما المسألة أنهم لا يريدون الحق الذي فصّلته السنة، وقلّ منهم من يجهر بردّ الحديث، لكنه يتخفى تحت مزاعم شتى، خاصة وأن الدين أصبح كلأ مباحًا، يتكلم فيه من شاء، بما شاء، كيف شاء، وقتما يشاء، بلا رادع من قرآن أو سلطان، ومما يثير الغثيان أنك تجد أحدهم يحتكم إلى

العقل، ووالله لو احتكموا فعلاً إلى العقل، لسلَّموا بالأحاديث تسليمًا، أليس أعقل العقل التسليم بما ورد صحيحًا؟!! يقول: هذا ليس بصحيح، أقول: لنحتكم إلى أصول أي علم يحترمها العقل، لا يريد، ثم تشبعه ردًّا بنقولات وردود العلماء في الصغير والقطمير من هذه الترهات، ثم لا تجد إلا المكابرة والعناد، فهل هذا من العقل في شيء؟!! ولو كانت هناك موضوعية ما حدث ذلك.

ومما يتفطر له الإنسان أنك تجد من جهابذة العلماء في هذا العصر من يسيرون في ذات الركب في بعض الأمور استجابة للعقل أو للواقع!!! وما حدث هذا في عصر من قبل، وما حدث هذا إلا لفعل غير المسلمين ذلك ، سبحان الله!! أأصبح غير المسلم بقوله وفعله مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي حتى نحتكم إليه؟!! كما قبلت آلاف الحديث في ذات الكتب، ولذات المحققين، وبذات المنهج العلمي، فلم نترك بعضها؟

كيف، وقد أشبعت كل الأحاديث ردًّا من قبل بطون العلم وعلمائه؟!!

هل أخطأ كل العلماء الفحول السابقون الذين كان يضرب بهم المثل في حفظ آلاف من أسانيد الأحاديث، ناهيك عن متونها وبرواياتها المختلفة، ومنهم الحجة والحافظ والمحدث وأمير المؤمنين في الحديث؟!!

هل هؤلاء كلهم مصابون بالجمود والتحجر وعدم الواقعية والنظر بسطحية إلى النصوص ، على مدار أربعة عشر قرنا من الزمان ؟!!!

أليست الموضوعية أن نطبق المعيار ذاته على كل الأحاديث؟!!

المبحث الثالث

آداب الحوار

للحوار آداب أساسية، يجب التزامها واحترامها؛ إذ بها يحقق الحوار أهدافه ونتائجه، ويكون على خير صورة وعلى أتم وجه، وإن لم يتلاق الطرفان على كلمة سواء، فإن اتحدت كلمتاهما فبها ونعمت، ويكون الحوار قد حقق مقصدًه الأول، ألا وهو الوصول إلى الحق واتباعه، وإن عدم ذلك ولم يتفقا على رأي موحد، فلا أقل من أن يخرج الحوار على صورة طيبةً طاهرة لا يخدشه قولٌ أو يخرقه فعلٌ مخالفٌ لآداب الحوار.

وتتلخص هذه الآداب فيما يلي:

أولاً: الإخلاص

يمثل الإخلاص جوهر الإسلام ودعامته الأساسية، كيف وقد جاء في مقدمة ما أمر به البشر قاطبة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ (سورة البينة: 5)، وقال الرسول ﷺ فيما رواه عنه عمر بن الخطاب ﷺ: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأةٍ ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"(1)

وهذا الإخلاص هو عمود الإسلام، به يرتقي الإنسان إلى أعلى الدرجات ويعلو إلى أرفع المقامات، هذا الإخلاص الذى يبتغي به العبد وجه الله في قوله وعمله، في حركاته وسكناته، في كل تصرفاته، هذا الإخلاص الذي به يلفظ العبد كل رياء، ويتجرد لله تعالى، وينسى حظوظ نفسه، ويتمنى لو ظهر الحق

(1) متفق عليه :أخرج البخاري (1) في أول كتاب الوحي، ومسلم (1907) في الإمارة باب :قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية.

أنّى كان، كيف لو رأيته في الحوار! كيف لو كان بين كل متحاورين! كيف لو كان شعار كل متحاور! كيف لو رأيته عملاً، لا مجرد شعارات زائفة أو أقوال ليس لها من نصيب على أرض الواقع! كيف لو تخلى كل محاور عن الرياء! كيف لو تمسك بالإخلاص! كيف لو تجرد للحق كل تجرد، ولو ظهر على لسان خصمه! ورحم الله إمامنا الشافعي والذي كان يدعو أن يظهر الحق ولو على لسان من يحاوره، هنالك ـ وهنالك فحسب ـ يكون نعم الحوار، حوار يكون فيه المثل الأعلى للحوار، حوارٌ فيه التجرد للحق، حوارٌ لا تهارج فيه ولا تخاصم، حوارٌ لا تسلط فيه ولا تقاتل، حوارٌ لا بغي فيه ولا تنافر، حوارٌ للحوار، حوارٌ تستفيد فيه من أدب وعلم المتحاورين، حوارٌ تخرج منه بمزيد علم وتقوى، حوارٌ تعرف فيه الحق وأهله، حوار يُكشف فيه الباطل وحزبه، هذا هو أول أدب للحوار المنشود، هذا هو غاية كل حوار مطلوب، هذا هو مبتغى كل حوارٍ مرغوب، ألا فليلتزم هذا كل محاور كماً كنا نرى في الصدر الأول للإسلام، الإخلاص الإخلاص أيها المتحاورون تنجحوا، الزموا الإخلاص تفوزوا، إياكم وعدم الإخلاص إذ هنالك تفشلوا.

ثانيًا :العلم

نعم، العلم ولا غرو أن يأتي بعد الإخلاص، إذ لا ينفع علم بلا إخلاص، ومثله كمثل من صنع طبقًا عظيمًا من الحلوى ثم سكب عليه من الرمل الكثير، فماذا تغني عنه حلواه إذن؟!

والعلم المقصود هو العلم الشرعي، إذ لا يعقل أن ينزل الله وحيه ثم نترك ذلك إلى زبالات البشر وتفكيرهم القاصر، والذي يحكمه الهوى، بل والمصلحة الذاتية، ومن هنا كان كثير التغيير والتبديل، وصدق الله إذ يقول ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾(الملك: 14)، بل وإذا كان الحوار يدور في علوم غير شرعية، فلا بد حالئذٍ من عدم مخالفة الشرع، ولا أصوله ولا ثوابته، فهذا هو

المقصود بالعلم، لا غيره، وفي زماننا هذا الذي انحسر فيه شرع الله عن التطبيق ترى العجب العجاب، ترى العالم تحكمه ترهات وضعية، سواء كانت قوانين أم نظريات أم غيرها، تطبق على العالم كله، الدولة بعد الأخرى، القوية ثم الضعيفة تقليداً، بل والطامة أن تطبق على بلاد المسلمين التي حباها الله بشرعه الحكيم، فبدلاً من أن تريح البشرية من هذه الظلمات الأرضية وتزيحها عنها، إذ بها تقع في أسر هذه الظلمات وأغلالها، بل ورأينا الكثير ممن يلوي أعناق الوحي الإلهي ليًّا، بل ويستشهد بضعيف الآراء ومرجوحها، من أجل ماذا؟! طمعًا في أن ينال شرف التحضر والواقعية والعصرنة، وبعداً عن التخلف والجمود، بل واتباع أساطير الأولين!!!

كيف هذا يا من حملكم الله الأمانة، وشرفكم بالعلم الإلهي! كيف وقد قال الله تعالى ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ (المطففين: 10ـ13) ماذا قال؟! ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (المطففين: 10ـ13)، وترى العالم كله قد جهز النفير لكل من يذكره بشرع خالقه، ويساعدهم في هذا من فتنوا بالفاسد من الحضارة الغربية، ويا ليتهم استوردوا التقنيات الحديثة كيما تتقدم دول المسلمين، ولكنهم استوردوا كل ما فيه غث، وتركوا السمين، بل وهل يعطوا لهم السمين؟! كلا إنهم يرمون غثهم لكل ساقط ولاقط، بل ولو كان من صميم أفكارهم، فإن الظن لا يغني من الحق شيئًا، نعم ظنهم هذا الذي أورد العالم كله المهالك، والواقع خير شاهد على هذا، ظنهم هذا الذي جعل حاملي ألقاب علمية يفنون أعمارهم في هذه الظلمات! ظنهم هذا الذي عليه تدور الندوات! هذا ما وصل إليه علم الحوار المعاصر الآن ـ إن جاز التعبير بأنه علم ـ وعليه كان لا بد من اشتراط هذا الأدب كصبغة للحوار؛ حتى لا نتخبط في ظلمات العمه والعمى، ونساعد في استمرار حالة التّيه البشري، وحتى تئوب

البشرية الضائعة إلى العلم النافع، ومن ثم إلى الحوار المثمر المفيد. ولأهمية هذا، كان رسولنا ومعلمنا الأول ﷺ، يدعو الله تعالى ـ العليم الخبير ـ كل صباح بقوله " اللهم إني أسالك علمًا نافعًا، ورزقًا طيبًا، وعملاً متقبلاً "[1]، بل كان صلوات الله وسلامه عليه، يستعيذ بالله تعالى من علم لا ينفع[2].

ثالثًا : حسن الخلق

يتمثل الأدب الثالث من آداب الحوار في حسن الخلق، وهذا الأدب من الأهمية بمكان لا سيما في واقعنا المعاصر الذي انفرط فيه عقد القيم، وبات الأصل في معاملات الناس سوء الخلق، فكيف في حواراتهم!

ولقد حثنا الإسلام على حسن الخُلق أيما حث، بل وفي كل مفرداته، بل لما مدح الله عز وجلّ عبده ورسوله، سيدنا محمد ﷺ، مدحه بعظم الخُلق وحُسنه، قال الله تعالى في محكم التنزيل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم : 4)، وإذا كان النبي ﷺ قبل البعثة المباركة قد لقب بالصادق الأمين، فكيف به ﷺ، حال الإسلام، بل ثبت عنه ﷺ، أنه كان أحسن الناس خُلقًا، فعن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ، أحسن الناس خُلقًا[3]، بل إن أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة هو حسن الخُلق، ثم إن الله عز وجل يبغض سيئ الخلق، فعن أبي الدرداء ﷺ، أن النبي ﷺ قال: " ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخُلق. وإن الله يبغض الفاحش البذيء "[4]، كيف وإن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ،

---

(1) أخرجه ابن ماجه (298/1)

(2) رواه الترمذي (519/5)، وأبو داود (92/2)

(3) متفق عليه: أخرجه البخاري في الأدب (6203) / باب: الكنية للصبي، ومسلم (2150) في الآداب/ باب: استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى رجل صالح يحنكه.

(4) صحيح: أخرجه الترمذي (2002) في البر/ باب: ما جاء في حسن الخلق، وأبو داود(4799) في الأدب/ باب: في حسن الخلق.

" أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا، وخياركم خياركم لنسائهم "[1]، وما أحرى المجتمع المسلم أن يتحلى بحسن الخلق، وإذا كان هذا ما يجب على المسلمين في عموم حياتهم، فما أحراه أن يكون في أخص خصوصيات حياتهم، بل والتحلي به. إزاء حواراتهم، لا فيما بينهم وبين أنفسهم فحسب، بل بينهم وبين غير المسلمين، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ (النحل: 125)، فدورك حسن بلاغ في حسن خلق، وهو أدعى للقبول والاستجابة، أما حمل الناس وإكراههم على الحق إكراهًا فليس هذا من أدب الإسلام في شيء، بل هو أدعى للنفرة والنفور، لا سيما وأن الحق أبلج والباطل لجلج، فمع حسن البلاغ وقوة الحجة لم يبق إلا التسليم، فإن أبى فقد ظلم نفسه، وحرم نفسه من النور الإلهي، وعاث في الضلال يرتع فيه رتعًا، وأبت نفسه إلا أن تكون مغلولة أسيرة لداعي الهوى، وصدق الله إذ يقول تعالى: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيۡهِ وَكِيلًا * أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(الفرقان: 43ـ44)، بل قال الله عز وجل لمن اختط طريق الجدال بديلاً عن الحق: ﴿وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (الحج: 68) هذا مع الاستمرار في بيان الحق والثبات عليه، معذرة إلى ربنا ولعلهم يتقون، مصداقًا لقول ربنا سبحانه وتعالى على لسان أهل الحق: ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف: 164)، هذا هو المأمول في كل حوار، بل ولعلك ترى ذلك مبثوثًا وبكثرة في الحوارات التي عرضها القرآن الكريم بين أهل الحق وأهل الباطل، فالمقصود

([1]) حسن صحيح: أخرجه الترمذي(1162) في الرضاع/ باب: ما جاء في حق المرأة على زوجها.

بيان الحق واضحًا جليًّا، فلا يكون هنالك عـذر لمعتـذر، لا المقـصود أن يـصبح الحوار معركة حربية تشتد فيها حلبة الصراع، وتدور بين شدٍّ وجـذب، وتعلـو فيها الأصوات، وتدخل الشحناء والبغضاء بين المتحاورين، ويسود فيها التقاتل والتصارع، والتهارج والتنـافر، والبغـي والتـسلط، أيـن الحلـم؟! أيـن سـعة الصدر؟! أين الصبر واحتمال الأذى؟! ولو مع الخصم الألدّ الشديد الخصومة، وصدق من قال: سل نفسك كم نفرت أناسًا عن دين الله عز وجل؟!

إن حاجتنا لماسّة إلى حسن الخُلق لا سيما في زماننا هذا، والذي ساد فيه الجفاء والجفاف بين الناس، بل ولعلي لا أبالغ إذا قلت إنه استشرى بين الدعاة، أعلم أن الأمر شديد في الداخل والخارج، لكنه كان كذلك على رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام، وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أروع المثل في الدفع بالتي هي أحسن، فما أجدر كل محاور ومتحاور في سبيل الحق، أن يطبق الحق، ومنه حسن الخلق.

المبحث الرابع

عوائق الحوار

الحوار سياج فكري متصل بين الأشخاص، قد يصيبه ميكروب، فيوقف هذا السياج، ويقطع أوصاله، ويشتت تدفقه، ويصل به إلى نقطة اللاالتقاء. وقد يترتب على هذه الميكروبات إصابات أخطر، فتتصدع العلاقة بين المتحاورين، ويتهاوى بنيان ترابطها، فتكون الطامة أكبر. هذه الميكروبات ليست إلا عوائق الحوار، أي تلك الأمور التي من شأنها أن تصل بنا إلى اللاحوار.

وتتبدى أهمية دراسة هذه العوائق، وذلك لكونها توضح الطريق الأمثل للتغلب على هذه الأشواك، والتي لو غاصت في المتحاورين لتحطم الحوار، وإن تحطم الحوار، فحدِّث بما تشاء عن ضياع الأمة، والدين، والدعوة، والتربية، والثقافة، لذا كان لا بد من العروج عليها لتجنبها.

وليس معنى وجود عوائق للحوار، وأننا نتجنبها، أن المراد هو الوصول إلى رأي موحد، وأن نتفق بصدده، فهذا إن حدث فبها ونعمت، لكن المراد، وإن لم تتفق وجهات نظر، فلا أقل من أن يبقى شريان الحوار متدفقًا، ولعل استمرار تياره قد يكون مدعاة للالتقاء فيما بعد.

والواقع أن هذا الموضوع من الأهمية بمكان في عصرنا هذا؛ إذ على المستوى العام قلما تجد حواراً لم يصبه عائق، فكثيرًا ما نرى حوارات قد انقلبت إلى ساحات للمهاترات وسوء الأخلاق. بل وللأسف الشديد، قد تجد ذلك بين من يحملون هَمّ الإسلام. وهذا أمر جد خطير، إذ قد ترى من أصحاب القدوة ما يكون سببًا في وصول الحوار إلى طريق مسدود، وهنا لا بد من وقفة. إن

الحوار هو أبسط صور الالتقاء والتجمع، فإن لم نحسن استخدامه، فماذا نحسن؟!!

إذا كنا لم نتغلب على هذه العوائق، فكيف نتغلب على المخططات الجسام الأخرى؟!! إن أي هدف تريده كيما تبلغه لا بد من حوار، ولهذا كان تشريع الشورى في الإسلام، واعتباره أحد أعمدة الإسلام الكبرى في كل مجال، امتثالاً لقوله عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: 159)، وتخلقًا بأخلاق المؤمنين، الذين قال الله فيهم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: 38)، ووصولاً للرأي الأصوب، أو على الأقل إقامة حوار مشترك يحمي الكل من وراء ظهورنا.

أما أن يكون الخلل واقعًا في الحوار، فلا بد من كل منا أن يراجع نفسه، ويقف متجردًا صوب الحق، وليعلم أن ما يصدع جسد الإسلاميين، أيًّا كانوا، يصدع جسد الإسلام. كيف لا والكل يشترك في حمل الإسلام على عاتقه، وليكن الجميع على يقين أنك لن تجد من يحمي ظهرك إلا أخيك هذا الذي تطعنه وتلفظ الحوار معه. لا بد أن تعلم أنك به، وأنه بك، وإذا لم يتحقق ذلك في الحوار، فإني أشك كثيرًا في أن تكون العودة لصحيح الإسلام قريبة، إذ لها رجالها، ولا بد أن يكون على نسق طراز رجالها الأُوَل، إن لم يكونوا مثلهم، أما ولم يوجد شيء من هذا، فلنسمع قول الله تعالى فيمن فعلوا فعلنا: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ (البينة: 4).

كيف هذا؟!!

تفرق بعد مجيء البينات؟!!

تفرق بعد معرفة الحق؟!!

تفرق رغم وجود قرآن واحد، وسنة واحدة؟!!

تفرق رغم أن شرائع الإسلام مبناها على الوحدة والتوحد؟!!

والله إن بيننا لمسافات طوال حتى نصل إلى الحق، ما هذا الهراء الحادث باسم الإسلام؟!!

الأمة تضرب في كل مكان، وبعضنا يضرب رقاب بعض حتى في الحوار!!! أخشى أن نُكتَب من الصاديّن عن سبيل الله بتفرقنا هذا!!! لا بد وأن في قلوبنا أشياء وأشياء!!

تفرق رغم أنك يجب عليك أن تضع يدك في يد المسلم عامة، فما بالك بمن يخدم قضيتك!!!

ماذا طلب الله منا لنفعل هذا؟!!

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ (البينة: 5). لابد وأن هناك ما يعرقل الإخلاص.

وهذه دعوة للمراجعة، فكم من امرئ تمنى أن يفعل شيئًا لخدمة الإسلام، فلما مُكِّن خذل الإسلام بقوله وفعله، وها هو الله يدعونا قائلاً: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لِنَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ﴾ (يونس: 14). توليتم حمل الأمانة، وأصبحتم من دعاة الإسلام، فهل تقدم الإسلام بكم أم نبذتم آياته وراءكم ظهريًّا؟!!

إن أشخاصًا لم يستطيعوا أن يقيموا حوارات بينهم لم تصبها العوائق، لأجدر بهم أن يتوبوا إلى الله عز وجل.

نعم، أجدر بهم أن يعودوا إلى قرآن ربهم وسنة نبيهم فعلاً وواقعًا.

أجدر بهم أن يحملوا الأمانة كما حملها أسلافهم، لا أن يضيع الإسلام فيما بينهم، وبسبب أفعالهم.

وبعد، فللحوار عوائق كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر:ـ

أولاً : الجمود والانغلاق

الجمود والانغلاق هو توقف الرصيد الفكري لدى إنسان، فلا يقبل زيادة أو نقصانًا. والجمود آفة فكرية خطيرة، إذا ألـمّت بفرد أصابته بالعطب الفكري، فليعلم الفرد إن لم يكن في زيادة، فهو في نقصان. ثم إن الفرد مهما كملت علومه، فهو لا يزال فقيراً في العلم، وإن علق الجمود بأمة، فحدث عن ضياعها في الدين، ناهيك عن الدنيا.

وتزداد خطورة الأمر حينما يكون محله في الدين، إذ ترى الفرد جامداً حول فكرة أو رأي بعينه، لا يرى غير ذلك صوابًا، فتراه قابعًا حول ذلك الرأي وإن ثبت خطؤه ،أو متشبثًا بفكرة دفنت منذ أزمان بعيدة، أو متعلقًا بفرد لحبه أو صلاحه، أو غير ذلك، فيرفع آراءه لمرتبة الوحي الإلهي، فلا ينقد ولا ينقض، وكأنه الرسول المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وهذا يصيب الدين في مقتل، ولا شك. فالوحي الإلهي مجرد عن كل تبعية، فهو متبوع لا تابع، وإذا تعلق الجمود بفكرة أو رأي ليست من الدين، فكبِّر أربعًا على ضياع الدين!!

وهنا لا بد من وقفات ووقفات لنعرف مدى ما أصابنا من جمود أو انغلاق، إذ هذا الجمود، وذلك الانغلاق هو الحاجز الذي حال بين اجتماع الأمة على كلمة سواء.

إن الناظر، بصدق وتجرد، إلى واقعنا المعاصر، ليرى البون شاسعًا والفرق واسعًا بين ما نحن عليه من دين، وما أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله ﷺ، ولست أقصد الكَمّ الإيماني، فهذا يقوله العاميّ قبل العالم. ولكني أقصد الكيف الشرعي، أي الآراء المقولة، والأفعال المعمولة. فلتمدَ نظرة واسعة على العالم الإسلامي لترى طوائف وفرق شتى تتبنى دينًا مشوبًا بما ليس من الدين، هي جامدة على أفكار وأطروحات. لعلك تقلب صفحات مئات الكتب حتى

تجد لها أثراً في عهد النبوة، فلا تجد البتة منها شيئًا، بل ولعلك تفتش عن سبب ذلك. وسألت نفسي: ألم يكن هناك حوارات بشأن هذه الأمور؟ فما وجدت إلا الجمود والانغلاق على هذه الآراء سببًا في هذه الأمراض.

لكن، لماذا الجمود والانغلاق على هذه الرؤى؟!!

لعلك ببحث واستقراء الآراء الموجودة بين العلماء تلاحظ أن هناك شريانًا يمد العوامّ بهذه الآراء الجامدة، وتصيبك الخيبة حينما تجد بعض العلماء يحملون هذه الآراء!!

سبحان الله!! عالم جامد على رأي مخالف للشرع!!

وهذا هو لب المشكلة الأول . . صياغة العقول وتكوينها، إن هذه العقول تربّت على التلقين لا الفقه، تربّت على التقليد لا الاجتهاد، تربت على التبعية الفكرية لا على الوحي الإلهي.

أمور تفشت في الأمة منذ قرون، لو اطلع من يريد الدخول في الإسلام عليها لصدته عنه، لا سيما في عالمنا المعاصر الذي يُحسب للعلم فيه مائة حساب، فهذا مقبور مات نفعل معه فعل الأحياء، أي عقل هذا؟!! بل ويا ليت الحي يقدر عليه!!!

وهذه أمم تجيش لا لتحرير الأقصى الأسير، ولكن ليجتمع الرجال بجوار النساء باسم الذكْر والدين زوراً وبهتانًا!!

وهل اجتمع الرسول ﷺ، مع أصحابه، بالنساء للذكر هكذا حاشاه وكلاّ، ولم نُثبَت ممن رضي الله عنهم كما ثبت للصحابة الكرام، فهل يرضى الله عنا بذلك؟!!

لقد صدر قرار من إحدى وزارات الأوقاف الإسلامية لتخفيض نسبة النذور، وللخليفة، وحامل المفتاح وغيرهم، فقامت الدنيا ولم تقعد!!!

وهل كان الصحابة كذلك؟!!

طبل وزمر والتفات وتمايل، أهذا من حضارة الإسلام التي تقدم لغير المسلمين؟!!

لماذا أرسل الله رسوله ﷺ؟!!

آلله أرسل رسوله أم أرسل أولئك بالإسلام؟!!

فأي إسلام نصدق ونتبع؟!!

ألم يكفكم نهج مَن بُشّر على الأرض بالجنة، ونحن على الأرض والأقصى يشكونا إلى ربه؟!!

ليس العيب الأساسي في الملايين من العوام، لكن في العلماء الذين سيسألهم ربهم سؤال الأنبياء ـ كما قال سيدنا مالك ـ عن الدين!!!

أتراه تقليد للآباء والأجداد؟!!

فمن أحق بالتقليد، الرسول ﷺ أم الآباء والأجداد؟!!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ (البقرة: 170).

من أحق بالعكوف على رأيه، سنة الرسول ﷺ، أم آحاد البشر، ولو كان عالمًا؟!!

ترى ما علاج هذا الجمود؟!!

إن سلطان الحق ضائع بين أهله، لعلك يصيبك العجب، إذ أقوال الرسول ﷺ، وأفعاله موجودة ومسطرة في الكتب. لكن بعضها منبوذ، ومقدم عليه قول لفلان أو فعل لفلان. يا سيدي، أنت احتكمت إلى رسول الله ﷺ، في صلاتك، فاحتكم إليه في كل أمورك، وسل ماذا كان يصنع رسول الله ﷺ في هذا الأمر، بل وفي كل الأمور ـ إن أردت الحق ـ؟!!

أما وقع في شعورك أن الأمر متصل بالوحي الإلهي، بالبيان الأخير الذي أرسله الله للعالمين؟!!

علينا أن نغربل ما دخل على الدين من هذه الأمور التي لا تقيم دينًا ولا تصنع دولة.

وإن إثم العلماء لعظيم، والغريب أنه مع وضوح الحق لا تجد إلا احتكامًا لرأي فلان أو فعله . . إنه الجمود!!!

وأين قول الرسول ﷺ، وفعله؟!!

والبعض يبرر ذلك بالنية الحسنة؟!!

﴿قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ (الحجرات : 16).

لماذا لم يفعلها الرسول ﷺ؟!!

هل قصَّر في البلاغ؟!!

هل نسيها؟!!

أم أنتم أعبد وأفضل منه ﷺ؟!!

أم أفضل من الصحابة، الذين سمعنا عن جهادهم، وما رأينا واحدًا يفعل أو يُفعل به ما تفعلون؟!!

والحاصل أن علاج الجمود بإعلاء شأن الوحي، وكيف لقوم يعلون أقاويل رجالهم على وحي نبيهم، كيف بهم يوم العرض على من أنزل الوحي؟!!

ثانيًا : الهوى

وفي هذا فليتحدث المتحدثون، فالهوى كما هو مانع من موانع الإيمان، فهو عائق من عوائق الحوار، بل هو عائق، وأي عائق!! ولعل سبب ذلك أن مرد الكثير من العوائق إلى الهوى، فهو شر بلية للإنسان، أن يهوى أمرًا على خلاف الحق. فإن كان الشخص من العوام، وقارعته بالحجج تلو الحجج، لم يجد بد من التسليم لذلك على مضض. ثم لا يلبث إن رأى فلانًا يقول بهذا الرأي،

أمسك بتلابيب هذا الرأي كما يمسك الأسد بفريسته، رغم وضوح الحق ظاهراً بينًا، وكم من الحوارات أقيمت، وكم من الندوات نظمت، وكم قيل فيها من حق، إلا أنها قوبلت بالهوى، فكيف لو كان محاورك عالمًا ذا هوى، تراه حينذاك يقلب الحق باطلاً والباطل حقًّا، يستعين بعموم الآراء ومطلقها، وشذوذ الأقوال وأضعفها، وضعاف الأحاديث وموضوعها. فإن حددت هدفك، وأبرزته إبرازًا، وبينته تبيانًا، رأيته يتستر بالواقع، وبوجود الرأي المخالف، وبالتيسير على الناس فيما ليس محله التيسير. والهوى لا يكون إلا مع الدنيا، فبئس ذلك العالم الذي يضيع آخرته بدنيا غيره، بئس ذلك العالم الذي فقد دينه لهواه، بئس ذلك العالم الذي يطوع النصوص لهواه والحكم بيننا وحي الله، وصدق رسول الله ﷺ، إذ يقول: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به"(□).

ويزداد الأمر شرًّا في زماننا هذا، إذ يبسط لكل ذي هوى أن يقول ويقول، في ظل تفشي الباطل، وقلة الحق وأهله، فيظن الناس أن هذا هو الحق المبين، وذلك الشر المستطير!!

وللأسف، قد ترى معارضة الحق من قِبل مَن يحمل همّ الإسلام، وتعرض عليه النص بعد النص، وقول الثقات، وعمل الأثبات، فلا يكون منه إلا كل التفات.

ترى ما سبب هذا كله؟!!

(□) راجع الحديث الحادي والأربعين من جامع العلوم والحكم، ص434 ، طبعة مكتبة الإيمان، تحقيق عبدالله المنشاوي.

رحم الله أناسًا كانوا يربون الناس قبل أن يعلموهم الدين، رحم الله أناسًا اهتموا بتزكية النفوس قبل تعليمها الوحي.

لقد أصبح الدين بضاعة الموظفين، ويحمله المرضى الضعفاء، ولواء بعض المنافقين، ويحمله من لم يخلّص نفسه من الهوى المكين، فماذا تنتظر من أولئك؟!!

فهذا يرقص فرحًا بذهب المعز ولو على حساب الدين!!

وذاك زعم أنه من العلماء الصادقين، فقدّم الهوى على الدين!!!

والدين ضائع لا يجد من يحمله حمل الصادق الأمين، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الجمعة: 5)

والعلاج أن للدين رجاله، الذين يجب أن يصنعوا على أعين العلماء الربانيين، وإلا فانتظر الهلاك المبين!!!

ثالثًا: عدم الالتزام بمقومات ولا شروط ولا آداب الحوار

إن الالتزام بمقومات وشروط وآداب الحوار هو السياج الأمين لحفظ كل حوار لبلوغ مقصده وتحقق غايته، فالحوار الذي يلتزم بثوابت الدين، قاصداً الوصول إلى الحق المبين، غير مخالف لأوامر الحق المبين، والذي سمته الموضوعية، وحليته الإخلاص والعلم، والخلق الجميل، فنعم الحوار هو.

أما أن تجد طعنًا في الدين، وسلوك سبيل الزنادقة المنافقين، فذلك عائق للحوار واضح مبين.

أما أن تجد خُلفًا للنصوص، ومعارضة لها، وبعداً عنها وتعظيم ضدها، فكيف يستمر الحوار حينذاك؟!!

أما أن تجد التفافًا على الحق، بتبني معيار في رأي ورفضه في آخر، والتزام طريق، هو أول من يخالفه في مسألة أخرى، فأنى للحوار أن يصل لغرضه؟!!

أما أن تجد عدم التجرد للحق، والجهل الفاضح، وسوء الخلق، فكيف يبدأ الحوار من الأساس؟!!

والسؤال، كيف السبيل لملافاة ذلك كله؟!!

بالنسبة للحوار بصدد مقومات الدين، من خلال الهمز واللمز في أصول وثوابت الدين، وهو دأب العلمانيين، وغيرهم من ذي كل ملة ودين، غير دين الصادق الأمين. فبالإضافة إلى عدم استدراج البعض لمثل تلك الحوارات، إذ لا تسمن ولا تغني من جوع كما تقدم. بل، سمعنا مؤخرًا في أحد تلك الحوارات أن ممثل أحدهم يرفض الاعتراف بالإسلام كدين سماوي، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ (يونس: 32). بالإضافة إلى هذا، لا بد من أمر مهم، وهو إفاضة الحديث عن أصول وثوابت الدين، وأن يتشرب بها كل مسلم من مهده إلى لحده. فلقد عمد العلمانيون وغيرهم خلال العقود الأخيرة إلى زعزعة هذه الأصول والأركان لدى المسلمين، حتى نشأت أجيال تحفظ كل ما يتعلق بالفنانين والفنانات، واللاعبين واللاعبات، ولا تستطيع قراءة الفاتحة. نشأت أجيال لا تعرف أصول دينها، وجدت أجيال عدت أصول دينها من المسائل الخلافية. وفي هذه المسائل الخلافية، لكل مجتهد أجر، وتشربت هذه الأجيال سموم العلمانيين، وإذا بك تفاجأ حال مناقشة أحدهم أنه ليس إلا مسخًا ونسخًا لفكر أولئك الضالين. هذه الخلخلة التي حدثت في أصول الدين، والتشويه الذي أصاب أساس الشرع، كان في ظل غياب كثيرمن العلماء. ولو استقرأت عدد العلماء الذين تصدوا لأولئك العلمانيين، وجزاهم الله كل خير، لوجدتهم قلّة من علماء المسلمين. وهذا أمر بالغ الخطورة، ورحم الله أيامًا كان لا يسمَح فيها لأحد أن يتكلم في دين رب العالمين، في وجود

العلماء الربانيين. رحم الله أيامًا كانوا يهابون الفتيا في وجود الإمام مالك، حتى قيل: لا يفتى ومالك في المدينة. وقوة الآخرين ليست إلا حاصل وتحصيل ضعفنا وتفريطنا، وها هم فحول العلماء الذين ينافحون عن الأمة في كل ميدان، يتساقطون الواحد بعد الآخر، فمن يخلفهم؟! أم مَنْ مسدهم؟! أم مَنْ تكون له هيبتهم؟!!

" لا تسألوا الجاهل لماذا لا يَعْلم، حتى تسألوا العالم لماذا لم يُعَلّم " هذا قول مشهور عن الإمام علي ﷺ. وليس معقولاً أن يتكفل أفراد على صوابع اليدين بالرد، والباقي جالسون كالمحايدين. إن هؤلاء العلمانيين أنفسهم يكتل بعضهم بعضًا، ويجمع بعضهم بعضًا؛ حتى يصلوا لغرضهم. فما أجدر أهل الحق أن ينافحوا عن شرفهم، إذ لا قيمة لهم إلا بهذا العلم، ويومها يعلو شأن الدين ثانية.

ولقد يسَّر الله عز وجل كثيرًا من الإعلاميات في هذا الصدد، كفانا كلامًا وأملاً وطموحًا أن تكون هذه الإعلاميات سبيلاً لنشر الدعوة، إذ لا بد من عمل تخطيط مدروس. إن الباطل يستخدم كل وسيلة إعلامية لنشر باطله ، بل وأنشئت قنوات متخصصة لتحسين صورته أمام المسلمين، وتم بثها خاصةً لشباب المسلمين. إن مليارات تُرصد للتبشير في كل مكان، عبر المدارس، عبر المستشفيات، عبر الإعلاميات، عبر وسائل الثقافة، عبر المنظمات والجمعيات الخيرية، وأموال الإسلاميين تصرف في أمور، هناك ما هو أوجب وأمسّ حاجة للصرف فيه منها.

وهذا الكلام كله ليس جديدًا، بل يتمنى كل مسلم أن ينال العمل، وبعد تطبيق هذه الأمور، وبذل العلماء ما لديهم في المنافحة عن الدين، واستغلال الإعلاميات في بيان صحيح الدين، لن تجد من العوام من يخلط الأصول بفروع الدين. إن أقاويل العلمانيين مهما تعددت، فهي معروفة محصورة، ولو جمعت

ردود شبهاتهم وترهاتهم، وبث مراراً وتكراراً، إلى قيام الساعة، وعبر جميع وسائل الإعلام، وباستغلال كل الطرق والوسائل القديمة والحديثة، فماذا يفعل العلمانيون حينئذ؟!! إنهم يتصيدون ترهاتهم لجهل المسلمين، لكن لو أن كل العلماء تكلموا، كل بطريقته، لاستطعنا أن نجمع كل فئات المسلمين في الحصن الحصين. نريد أن نحيي هذه الندوات العلمية التي تثري الفكر، وتحصن الفرد، وتبني الأمة.

إن الأمة بحاجة ماسة إلى العلم، لقد رأيت في بعض دول المسلمين أناساً يدرسون في بعض المعاهد المتخصصة لدراسة الدين، لا يجدون ما يشترون به كتب دراستهم، والتي هي مفتاح وباب العلوم، فأنى لهؤلاء أن يطرحوا شبهات العلمانيين !!

إن أمة لا تعتني بالعلم، ولا تلتقط الكفاءات، وتهدر شأن العلماء، كيف يعود مجد دينها؟!! ولَحقٌّ أن يطعن في ثوابت دينها؟!!

والحديث هذا إلى مَن يحملون همّ الإسلام، فأول ما ينبغي أن ترصد له الأموال، طلبة العلم على مستوى العالم الإسلامي. إن عالماً واحداً لو تم تنشئته على الوجه الصحيح، لكفى الأمة الكثير، فهناك رجال بأمة، وواحد بألف، وهناك ألف بخف!!

لقد رأيت العجب من بعض من يحملون هم الإسلام، إذ تنفق الملايين على أمور قد تؤخر الدعوة كثيراً أو أمور لا تمثل شيئاً أمام إنفاقها لاهتمام بالعلم وأهله، بداية بالعلم الديني، ونهاية بالعلم الدنيوي. إن كفاءات المسلمين العلمية تلتقط في كل مكان، ومن أفكارها وعلمها يستأسد أهل الباطل على المسلمين. فهذه هي بداية الطريق حتى لا يوجد حوار يتكلم باسم الدين، وهو ليس من الدين في شيء.

هذه هي البداية لعودة الأمة لمجدها، وذلك ما وعاه أهل الباطل لا من أنزل عليهم في أول الوحي قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: 1)، فهل من مدكر؟!!

وما قيل في شأن الطعن في ثوابت الدين، يقال كذلك في عدم مصادمة الوحي الإلهي. إذ عبر الاهتمام بالعلم وبثه ونشره، قل أن تجد من ذلك شيئًا، ويقال كذلك باعتبار العلم من آداب الحوار.

وإذا كانت هذه دعوة لمراجعة بناء المنظومة العلمية الشرعية، فهي دعوة كذلك لإعادة بناء المنظومة القيمية، والتي نفرد عنها الحديث، وذلك لأهمية حسن الخلق، فإن عوائق الحوار قد ألم بها الكثير مما مرضت به النفوس. وإن أردنا حوارات سوية مستقيمة، لا عوائق فيها، ولا موانع، فلا بد من إعادة بث الأخلاق ومكارمها لدى أبناء المسلمين.

إن من الأركان الأساسية التي اعتُمدَ عليها للقضاء على آفة المسلمين بث الانحلال الخلقي لدى المسلمين، فكما أنَ أمة جهولاً لا تقدم ولا تؤخر، فإن أمة ساء خلقها، وضاع بنيانها القيمي لتسقط منذ أن تبدأ. فما استقر بنيان فرد ولا أمة تهلهلت أخلاقها، واسألوا الأندلس!!!

فبعد ثمانية قرون، وما هي بقليل، تحطمت الأندلس على أنقاض التحلل الخلقي.

إن أطفال المسلمين اليوم قد رُبوا على غير مأدبة القرآن، فأصبحت ترى منهم المادية البغيضة، والوصولية المكروهة، والوهن المرفوض، والتميع الساقط، والانحلال بكل صوره إلا من رحم ربي. لقد تفتقت أذهانهم على هذا الجو الملبد بالغيوم و الأعاصير، فأشربوا تلك العجول، بل من المسلمين من يُشرِبها شربًا لأبنائه!!!

والحق أن هذا مما يجعل الحليم حائراً، فالحق وسلطانه غائب، وأهل الحق من الضعف بمكان، وهم أعدم أثراً إزاء ما يحاق بهم. والمسلمون مسلمون قالبًا لا قلبًا، بل كثير منهم يلفظ هدي النبي ﷺ، لما شرب من آلهة العصر، وينساق بروحه مع الباطل، وجسده مضطر أن يكون مع الحق!! وتلك هي الفتنة بعينها. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾ (البقرة: 191).

ولم يبق من ذلك كله إلا دور العلماء والمربين، ولا سيما الوالدين، فعليهم أن يجاهدوا حق الجهاد، ويتقوا الله حق تقاته في هذه الأمة، وأن يؤدي الكل أمانته، ويسأل الله العون والمدد، فبه يسهل العسير، ويقرب البعيد، ويلين الحديد. ومع الاستمرار على هذا، والحفاظ على سياج الأخلاق لدى المسلمين وأبنائهم بعد أن رأينا الجفاء والفظاظة، والعنف والجفاف، وسوء الظن، وفحش الخلق، ومع رؤية الله لنا كذلك، فقد يمنُّ علينا بالفتح أو أمر من عنده، يعز فيه الحق وأهله، ويذل الباطل وحزبه، وتعود الأخلاق الحميدة والشمائل السديدة.

حينئذ، تحرص حرصًا على سماع الحوار بعد الحوار، كيف وأنت إن لم تستفد علمًا، فكفى بحسن الخلق استفادة.